جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مجلة الرّاسخون
ARRASIKHUN JOURNAL

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508

Special Issue, October 2022

إصدار خاص - أكتوبر 2022

مجلة الراسخـــون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:2462-2508

أبحاث العدد الخاص، أكتوبر 2022

أولًا: الدراسات الإسلامية

البحث	صفحة
1ـ الدفاع عن بعض الشّبهات حول مصدر القراءات القُرآنيّة: دراسة تحليليّة	17ـ1
2. أركان التفسير الدعوي للقرآن الكريم: دراسة تأصيلية تحليلية	42ـ18
3. الاستدراكات على تفسير الإمام ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ دراسة موضوعية تطبيقية	70ـ43
4. مرويات حاتم بن حريث الطائي في كتب السنة ـ جمعًا ودراسة	93ـ71
5. الأحكام التي يتفق فيها السفر الطويل والقصير في المذهب الحنبلي	110ـ94
6. المُمتِعُ في شَـرحِ المُقنِع للعلامةِ زينِ الدّينِ أبي البَرَكاتِ المنَّجى بنِ عثمانَ بنِ أسـعَدَ التّنوخيّ الحنبليّ المتوفى سنة 695هـ من فصل في مسائل متفرقة إلى نهاية كتاب الطلاق (دراسة وتحقيق)	138ـ111
7. قياس الأولى: مفهومه، حجيته، وموقف السلف ـرضوان الله عليهمـ من الاستدلال به: دراسة تطبيقية	157ـ139
8. المفاضلة بين الأنبياء والأئمة عند الإمامية الاثني عشرية	186ـ158
9. ظاهر نصوص الصفات: حقيقته وأحكامه	218ـ187
10. العُرْف مفهومه وحجيته وضوابطه: دراسة عقدية	240ـ219

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

نائب رئيس المجلة: الأستاذ المشارك الدكتور/ الطيب مبروكي

مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الله يوسف

نائب مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين

محكمو أبحاث العدد (حسب الترتيب الأبجدي):

- الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم محمد أحمد البيومي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ حساني محمد نور
- الأستاذ الد كتور/ خالد حمدي عبد الكريم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ خالد نبوي سليمان حجاج
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد القوي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ الطيب المبروكي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد العالي باي زكوب
- الأستاذ الدكتور/ عبد الناصر خضر ميلاد
- الأستاذ المشارك الدكتور/ المتولي علي الشحات بستان
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد السيد إبراهيم البساطي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ منصور محمد أحمد يوسف
- الأستاذ المشارك الدكتور/ مهدي عبد العزيز
- الأستاذ المشارك الدكتور/ وليد علي محمد السيد الطنطاوي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ ياسر عبد الحميد جاد الله
- الأستاذ الدكتور/ يوسف محمد عبده محمد العواضي

Arrasikhun Journal, Special Issue, October 2022

ISSN: 2462-2508

قياس الأولى: مفهومه، حجيته، وموقف السلف -رضوان الله عليهم- من الاستدلال به

دراسة تطبيقية

أ.د/ سعود بن سعد بن نمر العتيبي

أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى

ssotabi@uqu.edu.sa

الملخص

تناول البحث موضوع قياس الأولى وهو كما يُعلم أحد الأدلة العقلية وذلك من خلال محاور ثلاثة:

المحور الأول: بيان مفهومه الاصطلاحي والعلاقة بينه وبين مفهوم المثل الأعلى الوارد في القرآن الكريم.

المحور الثاني: بيان حجيته من خلال ذكرنا للأدلة والأمثلة الدالة على استدلال القرآن والسنة بقياس الأولى، كما بيّنا المجالات التي استعمل فيها الوحي قياس الأولى.

المحور الثالث: موقف السلف من الاستدلال بقياس الأولى وبيّنا أنهم استعملوا هذا النوع في الاعتقاد في جانب التقرير والرد على المخالفين متبعين في ذلك منهج القرآن والسنة.

Abstract

The research dealt with the subject of first measurement, which is known by one of the mental evidence, through three axes:

The first axis: a statement of its terminological concept and the relationship between it and the concept of the ideal contained in the Holy Qur'an.

The second axis: a statement of its authority by mentioning the evidence and examples indicating the inference of the Qur'an and the Sunnah by analogy with the first, as we explained the areas in which revelation was used to measure the first.

The third axis: the position of the predecessors from the inference by analogy with the first, and we explained that they used this type of belief in the aspect of reporting and responding to the violators, following the approach of the Qur'an and Sunna

المقدمة

إنَّ الحَمدَ لله نَحمدُه ونَسْتَعينُه ونَستَغفرُه ونَعُوذُ به مِن شُرور أَنْفُسِنا مَنْ يَهدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَه ومَنْ يُضلِلْ فَلا هَادِيَ لَه وأَشْهَدُ أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وأشْهَدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُه ورَسُولُه صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فلقد أكرم الله عز وجل الإنسان بأن خلقه في أحسن تقويم فوهبه مصادر يتلقى من خلالها المعرفة وهي السمع والبصر والفؤاد (القلب) الذي به يعقل ويفهم ويتفكر وامتن الله –جل جلاله– عليه بذلك فقال في محكم التنزيل: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: 78] فالله عز وجل وهب الإنسان عقلا ميزه به عن الحيوان ومن خلال هذا العقل يتم التفكر والنظر فيما تأتي به حواسه من المعرفة وهذا العقل له مسالك وطرق للاستدلال غرسها الله فيه منها قياس الأولى الذي لفطريته استعمله في معاشه ومعارفه، وجاء الوحي فاستدل به على المطالب الدينية بعامة والعقدية بخاصة.

وفي هذا البحث سأنتناول بحول الله وقوته هذا الموضوع تحت عنوان: (قياس الأولى، مفهومه، حجيته، وموقف السلف –رضوان الله عليهم– من الاستدلال به. دراسة تطبيقية) وستكون الخطة على النحو الآتي:

المبحث الاول: تعريف قياس الأولى وعلاقته بالمثل الأعلى.

المبحث الثاني: حجية الاستدلال بقياس الأولى في الوحي.

المبحث الثالث: موقف السلف من الاستدلال بقياس الأولى.

منهج البحث:

سيكون المنهج المتبع للبحث هو المنهج التحليلي في الجوانب النظرية وخاصة تحرير المفاهيم والعلاقات بينها، كما سيتم استعمال المنهج التطبيقي في الجانب الاستدلالي وضرب الأمثلة والشواهد من كلام السلف رضوان الله عليهم.

هذا وأرجو من الله أن أكون وفقتُ في هذه الدراسة، وأسأله سبحانه أن ينفع بها الباحث والقارئ. وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الاول: تعريف قياس الأولى وعلاقته بالمثل الأعلى:

المطلب الأول: تعريف قياس الأولى:

1–قياس الأولى لغة:

هذا المصطلح مركب من جزئين:

الأول: القياس: وهو في أصله عملية تقدير ومقايسة أو موازنة بين شيئين متشابهين، وهذا هو أصل معناه في اللغة، قال في تهذيب اللغة:" قاسَ الشيءَ يَقِيسُه قِياساً وقَيْساً، أَي: قَدْرَه. والمقياس: الْمِقْدَار."[1]

قال ابن تيمية رحمه الله:" والقياس في اللغة تقدير الشيء بغيره، وهذا يتناول تقدير الشيء المعين بنظيره المعين وتقديره بالأمر الكلي المتناول له ولأمثاله، فإن

(1) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (179/9)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م

الكلي هو مثال في الذهن لجزئياته ولهذا كان مطابقا موافقا له"[1]

الثاني: الأولى: أصله مأخوذ من (وَلِيَ) قال في مقاييس اللغة:" الْوَاوُ وَاللَّامُ وَالْيَاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قُرْبٍ... وَفُلَانٌ أَوْلَى بِكَذَا، أَيْ أَحْرَى بِهِ وَأَجْدَرُ."[2]

2- قياس الأولى اصطلاحا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه مبينا حقيقة قياس الأولى:" ثم القياس تارة تعتبر فيه القدر المشترك من غير اعتبار الأولوية وتارة يعتبر فيه الأولوية فيؤلف على وجه قياس الأولى وهو إن كان قد يجعل نوعا من قياس الشمول والتمثيل فله خاصة يمتاز بها عن سائر الأنواع وهو أن يكون الحكم المطلوب أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل الدال عليه." [3]

فتعرف قياس الأولى عند شيخ الإسلام إذا هو:" أن يكون الحكم المطلوب أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل الدال عليه."

ومثّل له رحمه الله فقال:" قياس الأولى، مثل أن يقال: كل نقص ينزه عنه مخلوق من المخلوقات، فالخالق تعالى أولى بتنزيهه عنه، وكل كمال مطلق ثبت لموجود من الموجودات، فالخالق تعالى أولى بثبوت الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، لأنه سبحانه واجب الوجود، فوجوده أكمل من الوجود الممكن من كل وجه، ولأنه مبدع الممكنات وخالقها، فكل كمال لها فهو منه وهو معطيه، والذي خلق الكمال وأبدعه وأعطاه أحق بأن يكون له الكمال، كما يقولون: كل كمال في المعلول فهو من العلة." [4]

المطلب الثاني: العلاقة بين قياس الأولى والمثل الأعلى:

قياس الأولى هو في حقيقته من (المثل الاعلى)[5] لكن بينهما فروقا منها:

أولا: أن قياس الأولى لم يرد بهذا الاسم في القرآن وإنما ورد اسم المثل الأعلى. قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ (النحل: 60)

ثانيا: أن قياس الأولى والمثل الأعلى هما قياسان فطريان تدركهما الفطر السوية ولا تنفك عن الاستدلال بهما.

(1) الرد على المنطقيين: (119) لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ,الناشر : دار المعرفة -بيروت.

(2) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (142/6)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

(3) شرح العقيدة الأصفهانية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: (95)، المحقق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت

(4) درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: (362/7)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م

(5) أنظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: (109/5)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، 1426هـ

ولذا ورد الاستدلال بهما في القران والسنة وفي كلام السلف. قال ابن تيمية مقررا هذا الأصل:" وَلَمَّا كَانَ الْقِيَاسُ الْكُلِّيُّ فَائِدَتُهُ أَمْرٌ مُطْلَقٌ لَا مُعَيَّنٌ: كَانَ إثْبَاتُ الصَّانِعِ بِطَرِيقِ الْآيَاتِ هُوَ الْوَاجِبَ. كَمَا نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَفَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ، وَإِنْ كَانَتْ الطَّرِيقَةُ الْقِيَاسِيَّةُ صَحِيحَةً، لَكِنَّ فَائِدَتَهَا نَاقِصَةٌ، وَالْقُرْآنُ إذَا اسْتَعْمَلَ فِي الْآيَاتِ الْإِلَهِيَّاتِ اسْتَعْمَلَ قِيَاسَ الْأَوْلَى لَا الْقِيَاسَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْمُشْتَرَكِ."[1]

ثالثا: أن الاستدلال بالمثل الأعلى في القرآن كان عامته فيما يتعلق بالذات الإلهية من حيث إثبات ربوبية الله جل وعلا والوهيته وكمال صفاته وتنزيهه عن كل نقص في صفاته وأفعاله واثبات رسالاته والمعاد ونحو ذلك، وهذا المعنى عبر عنه ابن تيمية عند بيانه الطريقة القياسية التي قرر بها القران أصول الدين.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله:" الطَّرِيقَةُ النَّبَوِيَّةُ السَّلَفِيَّةُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ " قِيَاسُ الْأَوْلَى "كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾" [3].

بينما قياس الأولى أعم من جهة متعلقه فهو يأتي فيما يتعلق بالذات الإلهية وبمسائل الشريعة الأخرى وبالقضايا الدنيوية على تنوعها فمجالاته الاستدلالية أوسع فإن الناس مفطورة على معرفة أن من أؤتمن على دراهم يسيره فخان الأمانة فيها من باب أولى عدم ائتمانه على بيت المال.

المبحث الثاني: حجية الاستدلال بقياس الأولى في الوحي:

قلنا سابقا أن قياس الأولى لم يرد بهذا الاسم في القرآن والسنة وإنما ورد باسم المثل الأعلى والله جل وعز استعمل هذا الدليل من خلال ضربه للأمثال في القرآن لتقريب المعاني الى العقول والافهام ولقد نبه الإمام يحي العمراني لأهمية هذا الاستدلال والحكمة منه في القرآن فقال إن:" الله ضرب الأمثال والأشباه للخلق وجعلها للقلوب كالمرايا للوجوه وأمرهم أن يستدلوا بها على ما غاب من أبصارهم."[4]

ونحن عندما ننظر في استدلال القران والسنة بقياس الأولى (المثل الاعلى) نجد أنه أستدل به في تقرير أصول الدين كما استدل به أيضا في الرد.

وسنذكر نماذج على كل مجال لان استقراء ذلك يطول وهو مما لا يناسب المقام.

أولا: تقرير أصول الدين:

1-الربوبية:

-إفراد الله عز وجل بالربوبية للخلق أجمعين:

وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا

(1) مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: (48/1) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م

(2) أنظر: مجموع الفتاوى (297/3)

(3) مجموع الفتاوى:(349/12-350)

(4) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للإمام أبي الحسين يحي بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي: (1 / 280)، تحقيق: د. سعود عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1999م

وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ [النحل: 57-60]

وقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم:19- 22]

قال ابن تيمية رحمه الله مبينا وجه الاستدلال في هذه الآيات بقياس الأولى:" كان المشركون يقولون: إن الملائكة بنات الله، كما حكى الله ذلك عنهم بقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: 19]، وهم مع هذا يجعلون البنات نقصاً وعيباً، ويرون الذكر كمالاً، فقال لهم: كيف تصفون ربكم بأنقص الوصفين، وأنتم مع هذا لا ترضون هذا لأنفسكم؟ فهذا احتجاج عليه بطريق الأولى في بطلان قولهم: إن له البنات ولهم البنين، لم يحتج بذلك على نفي الولد مطلقاً كما يقول من يفتري على القرآن."[1]

2- إثبات تفرد الله تعالى بالألوهية:

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: 28]

قال ابن تيمية رحمه الله مبينا وجه الاستدلال في هذه الآية بقياس الأولى: "كما استعمل القرآن في إثبات الإلهية قياس الأولى وهو أن ما ثبت لموجود مخلوق من كمال لا نقص فيه فالرب أحق به وما نزه عنه مخلوق من النقائص فالرب أحق بتنزيهه عنه كما ذكر سبحانه وتعالى هذا في محاجته للمشركين الذين جعلوا له شركاء فقال: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: 28]، أَيْ: كَخِيفَةِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا...فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَكُونُ مَمْلُوكُهُ شَرِيكَهُ فِيمَا لَهُ حَتَّى يَخَافَ مَمْلُوكَهُ، كَمَا يَخَافُ نَظِيرَهُ، بَلْ تَمْتَنِعُونَ أَنْ يَكُونَ الْمَمْلُوكُ لَكُمْ نَظِيرًا، فَكَيْفَ تَرْضَوْنَ لِي أَنْ تَجْعَلُوا مَا هُوَ مَخْلُوقِي وَمَمْلُوكِي شَرِيكًا لِي، يُدْعَى وَيُعْبَدُ كَمَا أُدْعَى وَأُعْبَدُ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتِهِمْ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَك، إلَّا شَرِيكٌ هُوَ لَك تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ." [2]

3- إثبات صفات الكمال لله عز وجل وتنزيهه سبحانه عن صفات النقص:

قعد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لقاعدة عظيمة فيها بيان طريقة الوحي في الاستدلال على إثبات صفات الكمال لله تعالى بالطرق العقلية السليمة فذكر بينها قياس الأولى فقال:" إثْبَاتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَهُ طُرُقٌ. أَحَدُهَا مَا نَبَّهْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ الْفِعْلَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْقُدْرَةِ وَلِغَيْرِهَا....

وَأَمَّا الطَّرِيقُ الْأُخْرَى فِي إثْبَاتِ الصِّفَاتِ وَهِيَ: الِاسْتِدْلَالُ بِالْأَثَرِ عَلَى الْمُؤَثِّرِ وَأَنَّ مَنْ فَعَلَ الْكَامِلَ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْكَمَالِ.

وَالثَّالِثَةُ طَرِيقَةُ قِيَاسِ الْأَوْلَى وَهِيَ التَّرْجِيحُ وَالتَّفْضِيلُ وَهُوَ أَنَّ الْكَمَالَ إذَا ثَبَتَ لِلْمُحْدِثِ الْمُمْكِنِ الْمَخْلُوقِ

(1) درء تعارض العقل والنقل: (362/7)

(2) مجموع الفتاوى لابن تيمية :(302/3-303)

فَهُوَ لِلْوَاجِبِ الْقَدِيمِ الْخَالِقِ أَوْلَى...وَذَاكَ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ هُوَ جَعَلَهُ كَامِلًا وَأَعْطَاهُ تِلْكَ الصِّفَاتِ.

وَاسْمُهُ " الْعَلِيُّ " يُفَسَّرُ بِهَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ يُفَسَّرُ بِأَنَّهُ أَعْلَى مِنْ غَيْرِهِ قَدْرًا فَهُوَ أَحَقُّ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ؛ وَيُفَسَّرُ بِأَنَّهُ الْعَالِي عَلَيْهِمْ بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ فَيَعُودُ إلَى أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْمَقْدُورُونَ. وَهَذَا يَتَضَمَّنُ كَوْنَهُ خَالِقًا لَهُمْ وَرَبًّا لَهُمْ. وَكِلَاهُمَا يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ نَفْسَهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَك شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَك شَيْءٌ. وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَك شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَك شَيْءٌ" فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ وَلَا فَوْقَهُ وَلَا دُونَهُ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَثْنَى بِهِ عَلَى رَبِّهِ. وَإِلَّا فَلَوْ قَدَّرَ أَنَّهُ تَحْتَ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ كَانَ ذَلِكَ نَقْصًا وَكَانَ ذَلِكَ أَعْلَى مِنْهُ. وَإِنْ قِيلَ: إنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ كَانَ ذَلِكَ تَعْطِيلًا لَهُ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ هَذَا. وَهَذَا هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى." (1)

4- إثبات المعاد:

استدل القرآن الكريم على إمكانية المعاد من خلال أدلة عقلية عديدة منها قياس الأولى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الإسراء: 99]. وَقَوْلِهِ: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس: 81].

وَقَوْلُهُ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحقاف: 33]. وَقَوْلُهُ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: 57]

ولقد علق شيخ الإسلام رحمه الله على هذا الاستدلال القرآني مبينا وجه الاستشهاد فقال بأن الله سُبْحَانَهُ: "لَمَّا أَخْبَرَ بِالْمَعَادِ، وَالْعِلْمُ بِهِ تَابِعٌ لِلْعِلْمِ بِإِمْكَانِهِ، فَإِنَّ الْمُمْتَنِعَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ إمْكَانَهُ أَتَمَّ بَيَانٍ، وَلَمْ يَسْلُكْ فِي ذَلِكَ مَا يَسْلُكُهُ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، حَيْثُ يُثْبِتُونَ الْإِمْكَانَ الْخَارِجِيَّ بِمُجَرَّدِ الْإِمْكَانِ الذِّهْنِيِّ، فَيَقُولُونَ هَذَا مُمْكِنٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قُدِّرَ وُجُودُهُ لَمْ يَلْزَمْ مِنْ تَقْدِيرِ وُجُودِهِ مُحَالٌ، فَإِنَّ الشَّأْنَ فِي هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ، فَمِنْ أَيْنَ يُعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ تَقْدِيرِ وُجُودِهِ مُحَالٌ... وَالْمَحَالُ هُنَا أَعَمُّ مِنْ الْمُحَالِ لِذَاتِهِ أَوْ لِغَيْرِهِ، وَالْإِمْكَانُ الذِّهْنِيُّ حَقِيقَتُهُ عَدَمُ الْعِلْمِ بِالِامْتِنَاعِ، وَعَدَمُ الْعِلْمِ بِالِامْتِنَاعِ لَا يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِالْإِمْكَانِ الْخَارِجِيِّ بَلْ يَبْقَى الشَّيْءُ فِي الذِّهْنِ غَيْرَ مَعْلُومِ الِامْتِنَاعِ، وَلَا مَعْلُومَ الْإِمْكَانِ الْخَارِجِيِّ، وَهَذَا هُوَ الْإِمْكَانُ الذِّهْنِيُّ.

فَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَكْتَفِ فِي بَيَانِ إمْكَانِ الْمَعَادِ بِهَذَا، إذْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مُمْتَنِعًا وَلَوْ لِغَيْرِهِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ الذِّهْنُ امْتِنَاعَهُ، بِخِلَافِ الْإِمْكَانِ الْخَارِجِيِّ، فَإِنَّهُ إذَا عُلِمَ بَطَلَ أَنْ يَكُونَ مُمْتَنِعًا، وَالْإِنْسَانُ يَعْلَمُ الْإِمْكَانَ الْخَارِجِيَّ، تَارَةً بِعِلْمِهِ بِوُجُودِ الشَّيْءِ، وَتَارَةً بِعِلْمِهِ بِوُجُودِ نَظِيرِهِ، وَتَارَةً بِعِلْمِهِ بِوُجُودِ مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْهُ، فَإِنَّ

(1) مجموع الفتاوى: (16/357-359)

وُجُودَ الشَّيْءِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَا هُوَ دُونَهُ أَوْلَى بِالْإِمْكَانِ مِنْهُ.

ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا بَيَّنَ كَوْنَ الشَّيْءِ مُمْكِنًا، فَلَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ قُدْرَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَإِلَّا مُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِإِمْكَانِهِ لَا يَكْفِي فِي إِمْكَانِهِ وُقُوعُهُ إِنْ لَمْ تُعْلَمْ قُدْرَةُ الرَّبِّ عَلَى ذَلِكَ، فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ هَذَا كُلَّهُ، بِمِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الإسراء: 99]. وَقَوْلِهِ: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس: 81].

وَقَوْلُهُ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحقاف: 33]. وَقَوْلُهُ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر: 57]. فَإِنَّهُ مِنْ الْمَعْلُومِ بِبَدَاهَةِ الْعَقْلِ أَنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعْظَمُ مِنْ خَلْقِ أَمْثَالِ بَنِي آدَمَ وَالْقُدْرَةَ عَلَيْهِ أَبْلَغُ، وَأَنَّ هَذَا الْأَيْسَرَ أَوْلَى بِالْإِمْكَانِ وَالْقُدْرَةِ مِنْ ذَلِكَ."[1]

5- الاستدلال بقياس الأولى في السنة النبوية:

ساق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عددا من الشواهد في السنة النبوية الدالة على استعمال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لقياس الأولى فقال رحمه الله:" ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم:" أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أكان يجزئ عنه قال نعم قال فاقضوا الله فالله أحق بالقضاء."[2] وهذا المعنى جاء في أحاديث متعددة صحيحة فقبول الاستيفاء من الإنسان عن غيره لما كان من باب العدل والإحسان كان الله أحق بالعدل والإحسان من العباد وكان الذي يقضي عن غيره حق المخلوق هو أحق بأن يقضي عنه حق الخالق من جهتين من جهة أن حق الخالق أعظم ومن جهة أنه أعدل وأرحم ونظير ذلك في جانب النفي ما رواه الإمام أحمد في مسنده[3] أنهم لما فاتتهم الصلاة سألوه هل يقضونها مرتين فقال: (أينهاكم ربكم عن الربا ويقبله منكم..) يقول إنه نهى عن الربا لما فيه من الظلم وهو المعاوضة عن الشيء بما هو أكبر منه في الديون الثابتة في الذمة بعوض أو غيره وهو أحق بتنزيهه عن الظلم من عباده وكذلك الأمثال والمقاييس التي تضرب في عمل العبد له مثل طاعته وعبادته وشكره وخوفه ورجائه والاستحياء منه وغير ذلك كقول النبي صلى الله عليه وسلم لبهز بن حكيم لما قال:" فإذا كان أحدنا خاليًا؟ قال: (فالله أحق أن يُسْتَحْيَى منه من الناس)[4] ومثل قوله في القرآن: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة 62]

(1) درء تعارض العقل والنقل: (1/30-32)

(2) صحيح البخاري برقم: (6699)

(3) برقم (19964)

(4) اخرجه البخاري في الصحيح معلقا صيغة الجزم في باب "من اغتسل عريانا وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل"، وابن ماجه في سننه برقم (1920) والمستدرك على الصحيحين للحاكم برقم (7358) قال الحاكم:" هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "

فالأمثال تضرب تارة لما يوصف به من الصفات والأفعال وهو الحق الموجود وتارة لما يؤمر به الإنسان من الأعمال وهو الحق المقصود وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لما رأى امرأة من السبي لما رأت طفلاً أخذته فأرضعته:" أترون هذه طارحة ولدها في النار.؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال:" للهُ أرحم بعباده من هذه بولدها."[1] فيه قياس الأولى لكن من باب التصور وقد يستعمل من باب التصديق بأن يقال إذا كانت هذه لكونها كانت سبباً في وجود هذا فيها هذه الرحمة فالرب الخالق لكل شيء ووجود كل شيء منه أحق بأن يكون رحيماً بذلك ومن باب الأمر قول ابن عمر لغلامه نافع وقد رآه يصلي في ثياب ناقصة فقال:" أرأيت لو أرسلتك في حاجة أكنت تذهب هكذا؟ فقال: لا. فقال: " فالله أحق من تُزُيِّنَ له من الناس." وهذا يشبه حديث بهز بن حكيم ومنه الحديث المرفوع:" لا يمنعن أحدكم هيبةُ الناس أن يقول الحق إذا رأى منكراً أو سمعه فيقول الله له ما منعك أن تقول الحق؟ فيقول: ربِّ خفت الناس. فيقول الله: فإياي كنت أحق أن تخاف."[2] وهذا المعنى في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت 10] ومن باب الخبر قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس 81] أمثال بني آدم فيعيدهم كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف 33]"[3]

ثانيا: في الرد:

ومن الأمثلة في القرآن الكريم على هذا المجال مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه عندما خوفوه بغضب وانتقام آلهتهم الباطلة من إبراهيم عليه السلام فحكى الله في كتابه على لسان إبراهيم عليه السلام استعماله لقياس الأولى في إبطال حجتهم ودينهم قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: 81-82]

قال ابن تيمية رحمه الله كاشفا وجه الاستدلال بقياس الأولى في هذه المناظرة:" ناظر إبراهيم الخليل بمثل هذه المناظرة المتضمنة قياس الأولى، وإلزام الخصم على قوله، أعظم مما ألزمه هو على قول خصمه، كما قال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ

(1) صحيح البخاري برقم:(5999) وصحيح مسلم برقم: (2754)

(2) أخرج أحمد في مسنده أوله برقم (11017) وأما قوله:" فإياي كنت أحق أن تخاف " مخرج في المنتخب من مسند عبد بن حميد برقم (972)

(3) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، (5/426-428)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، 1426هـ

أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: 81-82] قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: 83] قال زيد بن أسلم وغيره: بالعلم. فالعلم بحسن المحاجة مما يرفع الله تعالى به الدرجات، وكذلك قال تعالى فيما أمر أن يخاطب به أهل الكتاب ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة 59-60] (1)"

المبحث الثالث: موقف السلف من الاستدلال بقياس الأولى:

كان للأئمة السلف رضوان الله عليهم القدح المعلى في سلامة الاستدلال بالعقل على المطالب الدينية بعامة والالهية بخاصة وذلك بسبب اتباعهم لطرائق الوحي في الاستدلال ومن تلك الأدلة الاستدلال بقياس الأولى وممن أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال:" فإن الإمام أحمد ونحوه من الأئمة هم في ذلك جارون على المنهج الذي جاء به الكتاب والسنة وهو المنهج العقلي المستقيم فيستعملون في هذا الباب قياسَ الأولى والأحرى والتنبيه في باب النفي والإثبات فما وجب إثباته للعباد من صفات المدح والحمد والكمال فالرَّبُّ أولى بذلك وما وَجَبَ تنزيه العباد عنه من النقص والعيب والذم فالرب سبحانه أحق بتنزيهه وتقديسه عن العيوب والنقائص من الخلق وبهذا جاء القرآن في مثل قوله ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم 28] وفي مثل قوله ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ [الزخرف 17] وغير ذلك... والأقيسة العقلية وهي الأمثال المضروبة كالتي تُسمى أقيسة منطقية وبراهينَ عقلية ونحو ذلك استعمل سلف الأمة وأئمتها منها في حق الله سبحانه وتعالى ما هو الواجب وهو ما يتضمن نفيًا وإثباتًا بطريق الأولى لأن الله تعالى وغيره لا يكونان متماثلين في شيء من الأشياء لا في نفي ولا في إثبات بل ما كان من الإثبات الذي ثبت لله تعالى ولغيره فإنه لا يكون إلا حقًّا متضمنًا مدحًا وثناءً وكمالاً والله أحق به ليس هو فيه مماثلاً لغيره وما كان من النفي الذي يُنْفَى عن الله وعن غيره فإنه لا يكون إلا نفي عيب ونقص والله سبحانه أحق بنفي العيوب والنقائص عنه من المخلوق فهذهِ الأقيسة العادلة والطريقة العقلية السلفية الشرعية الكاملة.." (2)

ثم أكد على هذا المعنى عند مدحه إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فوصفه بالتميز في الاستدلال في باب أصول الدين بالأدلة الثابتة الصحيحة نقلا وعقلا فقال:" وأحمد أشهر وأكثر

(1) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: (492/1)

(2) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: (80/5-83)، وانظر: الرد على المنطقيين: (155)

كلاماً في أصول الدين بالأدلة القطعية: نقلها وعقلها من سائر الأئمة، لأنه ابتلي بمخالفي السنة، فاحتاج إلى ذلك. والموجود في كلامه، من الاحتجاج بالأدلة العقلية على ما يوافق السنة، لم يوجد مثله في كلام سائر الأئمة، ولكن قياس التمثيل في حق الله تعالى لم يسلكه أحمد، لم يسلك فيه إلا قياس الأولى، وهو الذي جاء به الكتاب والسنة."[1]

ومما ينبغي التنبه له هنا أن بعض المنتسبين للسنة ردوا الاستدلال بالأقيسة العقلية السليمة في باب الاعتقاد ظنا منهم أنها من جنس طرائق علماء الكلام الذي ذمه أئمة السلف الكبار

وممن نبه إلى خطأ ذلك القول شيخ الإسلام فقال رحمه الله:" فأما ما يفعله طوائف من أهل الكلام من إدخال الخالق والمخلوق تحت قياس شمولي أو تمثيلٍ يتساويان فيه فهذا من الشرك والعدل بالله وهو من الظلم وهو ضرب الأمثال لله وهو من القياس والكلام الذي ذمَّه السلف وعابوه ولهذا ظن طوائف من عامة أهل الحديث والفقه والتصوف أنه لا يتكلم في أصول الدين أو لا يتكلم في باب الصفات بالقياس العقلي قط وان ذلك بدعة وهو من الكلام الذي ذمه السلف وكان هذا مما اطمع الأولين فيهم لما رأوهم ممسكين عن هذا كله إما عجزًا أو جهلاً وإما لاعتقاد أن ذلك بدعة وليس من الدين وقال لهم الأولون رَدُّكُم أيضًا علينا بدعة فإن السلف والأئمة لم يردوا مثل ما رددتم وصار أولئك يقولون عن هؤلاء إنهم ينكرون العقليات وأنهم لا يقولون بالمعقول واتفق أولئك المتكلمون مع طوائف من المشركين والصابئين والمجوس وغيرهم من الفلاسفة الروم والهند والفرس وغيرهم على ما جعلوه معقولاً يقيسون فيه الحق تارة والباطل أخرى وحصل من هؤلاء تفريط وعدوان أوجبَ تفرقًا واختلافًا بين الأمة ليس هذا موضعه ودين الإسلام هو الوَسَطُ وهو الحق والعدل وهو متضمن لما يستحق أن يكون معقولاً ولما ينبغي عقله وعلمه ومُنزَّه عن الجهل والضلال والعجز وغير ذلك مما دخل فيه أهل الانحراف فسلك الإمام أحمد وغيره مع الاستدلال بالنصوص وبالإجماع مسلكَ الاستدلال بالفطرة والأقيسةِ العقلية الصحيحة المتضمنة للأَوْلَى."[2]

ومما ينبغي أن يعلم أن هناك شرطا لصحة الاستدلال بقياس الأولى وهو " معرفة ما اختص به كل واحد من المقيس والمقيس به" وعدم مراعاة هذا الشرط قد يتحول قياس الأولى إلى قياس تمثيل أو قياس شمول.

قال ابن تيمية رحمه الله:" ومن قاس قياس الأولى ولم يعلم ما اختص به كل واحد من المقيس والمقيس به؛ كان قياسه من جنس قياس المشركين الذين كانوا يقيسون الميتة على المذكي، ويقولون للمسلمين: أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: 121]. وكذلك لما أخبر الله أن الأصنام التي تعبد هي وعابدوها حصب جهنم، قاس ابن الزّبعري قبل أن

(1) درء تعارض العقل والنقل :(154/7)

(2) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: (83-80/5)

يسلم هو وغيره من المشركين عيسى بها، وقالوا: فيجب أن يعذب عيســـى. قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ [الزخرف: 57، 58] ثم قال: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩﴾ [الزخرف: 59]. وبيّن تعـالى الفرق بقولـه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبيـاء: 101] بيّن أن من كـان صـالحا؛ نبيا أو غير نبي، لم يعذب لأجل من أشـرك به وعبده، وهو بريء من إشراكهم به."[1]

نماذج تطبيقية لاستدلال السلف بقياس الأولى:

أولا: الصفات:

1- الرد على من ينكر إثبات الصفات لله تعالى:

اســـتدل الإمام أحمد رحمه الله بقياس الأولى لإثبات صـــفات الكمال لله تعالى من خلال مثال النخلة وذلك في رده على الجهمية نفاة الصـــفات فقال: " فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم شيء واحد وسميت نخلة بجميع صـــفاتها فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صـفاته إله واحد، لا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا يقدر حتى خلق له قدرة والذي ليس له قدرة هو عاجز، ولا نقول: قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علما فعلم والـذي لا يعلم هو جـاهـل. ولكن نقول: لم يزل الله عالما قادرا لا متى ولا كيف وقد سمى الله رجلا كافرا اسمـه الوليـد بن المغيرة المخزومي فقـال: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١﴾ [المدثر:11] وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقـد سمـاه الله وحيـدا بجميع صفاته فكذلك الله وله المثل الأعلى هو بجميع صفاته إله واحد."[2]

كما استدل الإمام ابن بطة الحنبلي رحمه الله بهذا المثال لنفس الغاية فقال "وإنما أنكر الجهمي صـفات الباري تعالى أراد بذلك إبطاله ألا ترى أن أصـــغر خلقه إن أبطلت صـــنعته بطل فكيف العظيم الذي ليس كمثله شيء، ألا ترى أن النخلة لها جذع وكرب وليف وجمار ولب وخوص وهي تســـمى نخلة فإذا قال القائل: نخلة علم السـامع أن النخلة لا تكون إلا بهذا الاسـم نخلة فلو قال: نخلة وجذعها وكربها وليفها وجمارها ولبها وخوصـــها وتمرها كان محالا لأنه يقال: فالنخلة ما هي إذا جعلت هذه الصفات غيرها."[3]

(1) الرد على الأخنائي قاضي المالكية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي (111)، المحقق: الداني بن منير آل زهوي، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1423هـ

(2) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل: (140، 141)، تحقيق : صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.

(3) الإبانة الكبرى – الجهمية –أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري الحنبلي المعروف بابن بَطَّة =

2-نفي مماثلة الله للمخلوقين:

استدل الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله على تنزيه الله تعالى عن مماثلة المخلوقين بقياس الأولى فبين أن اتفاق الأسماء في الدنيا بين المخلوقات لا يلزم منه تماثلها في صفاتها فإذا كان هذا واقعا بين المخلوقات فمن باب أولى بين الخالق والمخلوق فاتفاقهما في اسم الصفة لا يلزم منه تماثلهما في مسماها فالصفة حقيقة ثابتة في الخالق والمخلوق: "وقد يجوز أن يدعى البشر ببعض هذه الأسماء وإن كانت مخالفة لصفاتهم فالأسماء فيها متفقة والتشبيه والكيفية مفترقة كما يقال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء يعني: في الشبه والطعم والذوق والمنظر واللون فإذا كان كذلك فالله أبعد من الشبه وأبعد فإن كنا مشبهة عندك أن وحدنا الله إلها واحدا بصفات أخذناها عنه وعن كتابه فوصفناه بما وصف به نفسه في كتابه فالله في دعواكم أول المشبهين بنفسه ثم رسوله الذي أنبأنا ذلك عنه فلا تظلموا أنفسكم ولا تكابروا العلم إذ جهلتموه فإن التسمية في التشبيه بعيدة."[1]

3- إثبات العلو لله تعالى وأنه أحاط بكل شيء علما:

استدل الإمام أحمد بالعقل السليم الذي سماه (الاعتبار) وبإحدى صور استدلاله تحديدا ألا وهو قياس الأولى لإثبات صفتي العلو والعلم لله تعالى من خلال مثلين مضروبين هما قارورة الزجاج والدار فقال رحمه الله: "ومن الاعتبار في ذلك لو أن رجلا كان في يديه قدح من قوارير صاف وفيه شراب صاف كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه.

وخصلة أخرى: لو أن رجلا بنى دارا بجميع مرافقها ثم أغلق بابها وخرج منها كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه وعلم كيف هو وما هو من غير أن يكون في شيء مما خلق "[2]

قال ابن تيمية معلقا على هذا الاستدلال:" ثم ذكر الإمام أحمد حجة اعتبارية عقلية قياسية لإمكان ذلك هي من باب الأولى قال:" ومن الاعتبار في ذلك لو أن رجلاً كان في يده قدح من قوارير صاف وفيه شيء كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح فالله سبحانه له المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه."

قلت: وقد تقدم أن كل ما يثبت من صفات الكمال للخلق فالخالق أحق به وأولى فضرب أحمد رحمه الله مثلاً وذكر قياسًا وهو أن العبد إذا أمكنه أن يحيط بصره بما في يده وقبضته من غير أن يكون داخلاً فيه ولا محايثًا له فالله سبحانه أولى باستحقاق ذلك

العكبري (2 / 175)، تحقيق: د. يوسف الوابل، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

(1) نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد للإمام عثمان بن سعيد الدارمي: (1/ 303)، تحقيق: د. رشيد حسن الألمعي. الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى 1418هـ - 1998م

(2) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد: (149-150)

واتصـــافه به وأحق بأن لا يكون ذلك ممتنعًا في حقه وذكر أحمد في ضـــمن هذا القياس لقول الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم:27] مطابق لما ذكرناه من أن الله لـه قيـاس الأولى والأحرى بالمثـل الأعلى إذ القياس الأولى والأحرى هو من المثل الأعلى وأما المثل المســـاوي أو الناقص فليس لله بحال ففي هذا الكلام الذي ذكره واســـتدلاله بهذه الآية تحقيق لما قدمناه من أن الأقيسة في باب صفات الله وهي أقيسة الأولى كما ذكره من هذا القياس فإن العبد إذا كان هذا الكمال ثابتًا له فالله الذي له المثل الأعلى أحق بذلك.

ثم ذكر قياسًـا آخر فقال وخصـلة أخرى لو أن رجلاً بنى دارًا بجميع مرافقها ثم أغلق بابها وخرج منها كان لا يخفى عليه كم بيت في داره وكم سـعة كل بيت من غير أن يكون صـــاحب الدار في جوف الدار فالله سبحانه له المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق وقد علم كيف هو ومـا هو من غير أن يكون في جوف شيء مما خلق وهذا أيضًا قياس عقلي من قياس الأولى قرر به إمكان العلم بدون المخالطة فذكر أن العبد إذا صـــنع مصـــنوعًا كدار بناها فإنه يعلم مقدارها وعدد بيوتها مع كونه ليس هو فيها لكونه هو بناها فالله الذي خلق كل شيء أليس هو أحق بأن يعلم مخلوقاته ومقاديرها وصفاتها وإن لم يكن فيها محايثًا لها وهذا من بين الأدلة العقلية وهذان القياســـان أحدهما لإحاطته بخلقه إذ الخلق جميعًا في قبضته وهو محيط بهم وببصره والثاني لعلمه بهم لأنه هو الخالق كما قال ســـبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14] وهؤلاء الجهمية نفاة الصـــفات كثيرًا ما يجمعون بين نفي علوه وكونه فوق العالم وبين الريب في علمه فكثيرًا منهم مســتريب في علمه لا سـيما من تفلسـف منهم فتارة يقولون لا علم له وتارة يقولون لا يعلم إلا نفسـه وتارة يقولون إنما يعلم غيره على وجـه كلي ولهم من الاضـطراب في مسـألة العلم ماهو نظير اضـطرابه في علوه وفوقيته."[1]

كما اســـتدل الإمام أحمد رحمه الله لإثبات علو الله تعالى على خلقه بقياس الأولى من خلال أن السـفول وصـــف مذموم جعله الله في حق الكفار المعاندين:" وقـال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255].فهـذا خبر الله، أخبرنا أنه في الســماء، ووجدنا كل شـــيء أسـفل منه مذمومًا بقول الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النســـاء: 145] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت: 29]"[2]

قال ابن تيمية رحمه الله عن اســتدلال الامام أحمد هنا بهاتين الآيتين:" وهـذه الحجـة من باب قيـاس الأولى وهو أن الســـفل مذموم في المخلوق حيث جعل الله أعداءَهُ في أسفل سافلين وذلك مستقرٌ في فطر العباد حتى أن أتباع المضلين طلبوا أن يجعلوهم تحت أقدامهم ليكونوا من الأســـفلين وإذا كـان هـذا ممـا ينزه عنـه

(1) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: (111-108/5)

(2) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد :(147)

المخلوق ويوصف به المذموم المعيب من المخلوق فالربُّ تعالى أحق أن ينزهَ ويقدس عن أن يكون في السفل أو يكون موصوفًا بالسفل هو أو شيء منه أو يدخل ذلك في صفاته بوجه من الوجوه بل هو العلي الأعلى بكل وجه." [1]

4-إثبات أن لله تعالى يتكلم بحرف وصوت:

استدل الإمام أحمد رحمه الله على أن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت بقياس الأولى وذلك من خلال ما عاب الله به المشركين في كتابه من عبادتهم الأصنام واتخاذها آلهة من دون الله وهي لا تسمع ولا تبصر فالإله المتصف بهاتين الصفتين من باب أولى أفراده بالعبادة وحده ألا وهو الله جل جلاله ولذا فمن نفى عن الله هاتين الصفتين -علم أم لم يعلم- يكون قد شبهه سبحانه بالأصنام التي لا تبصر ولا تسمع والله عز وجل له المثل الأعلى:" وقلنا للجهمية: من القائل يوم القيامة: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 116]. أليس الله هو القائل؟

قالوا: فَيُكوِّن الله شيئًا فيُعَبِّر عن الله، كما كَوَّن شيئًا فعَبَّر لموسى.

قلنا: فمن القائل: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖ﴾ [الأعراف: 6، 7] أليس الله هو الذي يسأل؟

قالوا: هذا كله إنما يكون شيئًا، فيعبر عن الله.

قلنا: قد أعظمتم على الله الفرية، حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله؛ لأن الأصنام لا تتكلم، ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان.

فلما ظهرت عليه الحجة قال: إن الله قد يتكلم، ولكن كلامه مخلوق، قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلامًا، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه. وتعالى الله عن هذه الصفة، بل نقول: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام. ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علمًا فعلم، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة، ولا نقول: إنه كان قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورًا، ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلقه لنفسه عظمة."[2]

5-إثبات أن القرآن كلام الله غير مخلوق:

قال عبد العزيز الكناني في إثبات أن القرآن كلام الله غير مخلوق مستعملا قياس الأولى: " فقلت: يا أمير المؤمنين لو كان لبشر غلامان وأنا لا أجد لهما خبرا من أحد من الناس إلا من بشر، ويقال لأحدهما خالد وللآخر يزيد وكان بشر غائبا عني فكتب إليّ ثمانية

(1) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: (99/5)

(2) الرد على الجهمية والزنادقة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (138-139)، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.

عشـــر كتابا يقول في كل كتاب منها: ادفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب. وكتب إلي أربعة وخمســـين كتابا يقول في كل كتاب: ادفع إلى يزيد هذا الكتاب ولم يقل: غلامي، ثم قدم بشر من سفره فقال لي: ألست تعلم أن يزيد غلامي، فقلت: قد كتبت إلي أربعة وخمســـين كتابا وقلت ادفع هذا الكتاب إلى يزيد ولم تقل غلامي، وكتبت ولم أسمعك تقول غلامي وأنا لا أجد ذلك إلا منك ولا أعرف خبره من أحد غيرك. وكتبت إلي ثمانية عشـــر كتابا ادفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب فعلمت بكتابك أنه غلامك، ثم كتبت إلي كتابا جمعتهما فيه فقلت: ادفع هذا الكتاب إلى خالد غلامي ويزيد ولم تقل غلامي فمن أين أعلم أن يزيد غلامك ولست أعلم خبرهما من أحد غيرك. فقال بشـر: فرطت، فقلت: بشـر فرط، فحلفت أن بشـرا فرط وحلف بشـــر أني فرطت حيث لم أعلم أن يزيد غلامه من كتبه، فأينا المفرط يا أمير المؤمنين. فقال المأمون: بشـر المفرط، فقال بشـر: وإيش هذا مما نحن فيه تريد أن تثبت بهذا الســـؤال علي ما لم يكن، متى كانت هذه المكاتبة وهذا الكلام. فقلت: اسمع حتى تقف على ما أردت. فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله ﷻ أخبر في كتابه بخلق الإنسان في ثمانية عشر موضعا ما ذكره في موضـــع منها إلا أخبر عن خلقه، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعا فلم يخبر عن خلقه في موضع منها ولا أشار إليه بشيء من صفات الخلق، ثم جمع بين القرآن والإنســـان في آية من كتابه فأخبر عن الخلق للإنســـان، ونفى الخلق عن القرآن فقال الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الـرّحمـن: 1-2-3-4] ففرق بين القرآن وبين الإنســـان، فزعم بشـــر يا أمير المؤمنين إن الله ﷻ فرّط في الكتاب من شـــيء، فهذا كســـر قول بشـــر بالقياس. قال المأمون: أحســـنت يا عبد العزيز."(1)

6- إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى:

استدل الإمام عثمان بن سعيد لإثبات صفتي السمع والبصر من خلال قياس الأولى في سياق رده على بشر المريسي منكر هذه الصفات: "وادعى المريسي أيضا في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: 28] ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: 20] أنه يســـمع الأصـــوات ويعرف الألوان بلا سمع ولا بصـــر وأن قوله (بصير بالعباد) يعني عالم بهم لا أنه يبصرهم ببصر ولا ينظر إليهم بعين فقد يقال لأعمى ما أبصـــره أي ما أعلمه وان كان لا يبصر بعين.

فيقال لهذا المريسـي الضـال، الحمار والكلب أحسـن حالا من إله على هذه الصـــفة لأن الحمار يســـمع الأصـــوات بســـمع ويرى الألوان بعين وإلهك بزعمك أعمى أصـم لا يسـمع بسـمع ولا يبصـر ببصـر ولكن يدرك الصوت كما يدرك الحيطان والجبال التي ليس لها

(1) الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن: أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني المكي (84-85)، المحقق: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1423هـ/2002م

أسماع ويرى الألوان بالمشاهدة ولا يبصر في دعواك."[1]

ثانيا: الإيمان:

-إثبات شمول اسم الإيمان للإقرار وقول اللسان وعمل الجوارح وأن الناس يتفاضلون فيه:

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله مقررا هذا الأصل العظيم من خلال قياس الأولى" وكذلك لو أن قوما أمروا بدخول دار، فدخلها أحدهم، فلما تعتب الباب أقام مكانه، وجاوزه الآخر بخطوات، ومضى الثالث إلى وسطها، قيل لهم جميعا: داخلون، وبعضهم فيها أكثر مدخلا من بعض فهذا الكلام المعقول عند العرب السائر فيهم، فكذلك المذهب في الإيمان، إنما هو دخول في الدين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ فالسلم: الإسلام، وقوله: (كَافَّةً) معناها عند العرب: الإحاطة بالشيء، قال رسول الله ﷺ: " بني الإسلام على خمس " فصارت الخمس كلها هي الملة التي سماها الله سلما مفروضا، فوجدنا أعمال البر، وصناعات الأيدي، ودخول المساكن كلها تشهد على اجتماع الاسم، وتفاضل الدرجات فيها، هذا في التشبيه والنظر، مع ما احتججنا به من الكتاب والسنة."[2]

استدل الإمام أحمد رحمه الله على إدخال اعمال الجوارح في مسمى الإيمان بقياس الأولى فقال:" جرِير بن عبد الله من آخرِ من أسلم من أصحاب رسولِ الله ﷺ، ويقول: "بايعت النبِي ﷺ على النصحِ"، فيكون النصح والحياء من الإيمانِ ولا يكون الصوم والصلاة من الإيمانِ."[3]

ثالثا: القدر:

1-إثبات أفعال العباد على جهة الحقيقة وأنها مخلوقة لله تعالى:

استدل الإمام يحي العمراني رحمه الله على إثبات أفعال العباد على جهة الحقيقة وأنها مخلوقة لله تعالى بقياس الأولى وذلك من خلال ما نسبه الله الى الجمادات من الأفعال التي خلقها الله فيها فالإنسان صاحب الإرادة من باب أولى أن ننسب الفعل إليه حقيقة فقال:" أن وصف الله سبحانه باختراع أفعال العباد وإنشائها لا يخرج أفعالهم عن كونها مقدورة لهم على سبيل الاكتساب فالله خالق القدرة ومقدورها والعبد موصوف بالحركة في فعله فلذلك نسب الفعل إليهم في كل مكان من القرآن من ذلك، والله موصوف بخلق الحركة في العبد وقد نسب الفعل إلى ما خلق فيه

(1) نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد : (1 / 300)

(2) كتاب الأيمان "ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته": أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (50-52)، المحقق: محمد نصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م

(3) السنة: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (584/3)، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، 1410هـ - 1989م

الفعل من الجمادات التي لا كسب لها فيه لكونها محلا لخلق الله المفعول فيها فالعباد بذلك أولى، والدليل على ما ذكرته قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ﴾ وقوله في الأرض: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ﴾"[1].

2-إثبات ان الله مدبر لأمور الخلائق فلا يخرج عن تقديره وتدبيره شيء:

استدل الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي لتقرير هذا المعنى بقياس الأولى من خلال إثباته عجز الإنسان عن تغيير مخارج الحروف من فمه الذي هو "خلق الله" فهو من باب أولى أن يعجز الإنسان عن تغيير أمر الله القدري:" عن يحيى بن أبي بكر الكرماني قال: حدثني أبي قال: جاء رجل إلى الخليل بن أحمد فقال له: قد وقع في نفسي شيء من أمر القدر، فقال له الخليل: أتبصر من مخارج الكلام شيئا قال: نعم، قال: فأين مخرج الحاء، قال: من أصل اللسان، قال: فأين مخرج الثاء، قال: من طرف اللسان، فاجعل هذا مكان هذا وهذا مكان هذا، قال: لا أستطيع، قال: فأنت مدبر."[2]

رابعا: في الاستدلال على بطلان علم الكلام:

1-خطورة القول في مسائل الفقه بلا علم وأخطر منه الخوض بلا علم في ذات الله كحال أهل الكلام:

1-عن أبي القاسم عثمان بن سعيد بن بشار الأنماطي قال: سمعت المزني رحمه الله: "كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعي، فلما قدم الشافعي أتيته فسألته عن مسألة في الكلام، فقال لي: تدري أين أنت؟ قال: قلت: نعم أنا في المسجد الجامع في الفسطاط. فقال: لي أنت في تاران. – قال ابو القاسم: "تاران موضع في بحلر القلزم لا يكاد تسلم منه سفينة– قال: "ثم ألقى عليّ مسألة في الفقه: فأجبت فيها. فأدخل شيئا أفسد جوابي. فجعلت كلما أجبت بشيء أفسده. قال: ثم قال لي: هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس يدخله مثل هذا، فكيف الكلام في رب العالمين الذي الزلل فيه كفر؟ فتركت الكلام وأقبلت على الفقه"[3]

2-إثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم علم أمته التوحيد فينبغي أخذه عنه صلى الله عليه وسلم لا من علم الكلام:

عن محمد بن عقيل بن الازهر قال:" جاء رجل إلى المزني يسأله عن شيء من الكلام، فقال: إني أكره هذا، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي، فلقد سمعت الشافعي يقول: سئل مالك عن الكلام في التوحيد، فقال مالك: محال أن يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله) فما عصم به الدم

(1) الانتصار للإمام يحي العمراني :(1 / 223، 224)، تحقيق: د. سعود عبد العزيز الخلف

(2) الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري – القدر –: (2/ 275)، تحقيق: د. عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

(3) ذم الكلام للإمام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي: (281/4)، تحقيق: عبد الله بن محمد الانصاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى.

والمال حقيقة التوحيد"[1]

الخاتمة:

من أهم نتائج البحث التي وقفت عليها ما يلي:

أولا: أن قياس الأولى حقيقته هي كون الحكم المطلوب أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل الدال عليه.

ثانيا: أن العلاقة بين قياس الأولى والمثل الأعلى ترجع إلى كونهما في أصلهما قياس تمثيل لكن لله منه ما هو الأولى بكماله وجلاله. الذي لا يماثله فيه مخلوق. إلا أن المثل الأعلى يكون مستعملا في حق الله فقط بينما قياس الأولى يتعلق بالباري وبغيره من الذوات والمعاني.

ثالثا: ثبت بالأدلة قرآنا وسنة استعمال الوحي لقياس الأولى في مجال التقرير وفي مجال الرد.

رابعا: موقف أئمة السلف الكبار المتبوعين هو صحة الاستدلال بقياس الأولى على المطالب الدينية وشذ عن هذا المذهب بعض المنتسبين للسنة من أئمة الفقه والتصوف.

المصادر والمراجع:

1. الإبانة الكبرى الجهمية أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، تحقيق: د. يوسف الوابل، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
2. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للإمام أبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، تحقيق: د. سعود عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1999م
3. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، 1426هـ
4. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م
5. الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن: أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني المكي،المحقق: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1423هـ/2002م
6. درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1411 هـ 1991 م.
7. ذم الكلام للإمام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، تحقيق: عبد الله بن محمد

(1) ذم الكلام الهروي: (283/4)

الانصاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى.
8. الرد على الأخنائي قاضـــي المالكية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد الســلام ابن تيمية الحراني الحنبلي، المحقق: الداني بن منير آل زهوي، الناشـــر: المكتبة العصـــرية بيروت، الطبعة: الأولى 1423هـ
9. الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل الشـيباني، تحقيق: صـبري بن سـلامة شـاهين، الناشـــر: دار الثبات للنشـــر والتوزيع، الطبعة: الأولى.
10. الرد على المنطقيين، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الناشر: دار المعرفة بيروت.
11. السـنة: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشـــر: دار الراية الرياض، الطبعة: الأولى، 1410هـ 1989م
12. شـــرح العقيدة الأصـــفهانية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد الســلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية بيروت.
13. عام النشر: 1399هـ 1979م.
14. كتاب الإيمان "ومعالمه، وسـننه، واسـتكماله، ودرجاته": أبو عُبيد القاسـم بن سـلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، المحقق: محمد نصـر الدين الألباني، الناشـر: مكتبة المعارف للنشـر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1421هـ 2000م
15. مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السـلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشـقي المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسـم، الناشـر: مجمع الملك فهد لطباعة المصـحف الشـريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السـعودية، عام النشـر: 1416هـ/1995م
16. مقـاييس اللغـة: أحمـد بن فـارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (142/6)، المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر
17. نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد للإمام عثمان بن سـعيد الدارمي، تحقيق: د. رشـيد حسـن الألمعي. الناشـر: مكتبة الرشـد للنشـر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى 1418هـ 1998م